نحـــو عـــلم اجتمـــاع تنـــويـــري
Towards an enlightened sociology
للدراسـات والأبحـاث الإنسانية والسوسيولوجية

الحداثة المعاصرة في علم الاجتماع

أدوات التحليل السوسيولوجي وبنية المفاهيم والأسس الابستمولوجية

حســـام الـــدين فيـاض

باحـــث وأكاديمي ســوري



• مقالات في العلوم الإنسانية والاجتماعية

• حسام الدين فياض

• علم الاجتماع / النظريات الاجتماعية المعاصرة

• الحداثة المعاصرة في علم الاجتماع: أدوات التحليل السوسيولوجي وبنية المفاهيم والأسس الابستمولوجية

• نحو علم اجتماع تنويري للدراسات والأبحاث الإنسانية والسوسيولوجية

• مقال إلكتروني

• المجلد: 04 / العدد: 039

• ماردين 01 فبراير – شباط 2026

• Articles in the Humanities and Social Sciences

• HOSSAM ALDIN FAYAD

• Sociology / Contemporary Social Theories

• Contemporary Modernity in Sociology: Tools of Sociological Analysis, Conceptual Structure, and Epistemological Foundations

• Towards an Enlightenment Sociology for Human and Sociological Studies and Research

• Electronic Article

• Volume: 04 / Issue: 039

• Mardin, February 01 2026

الحداثة المعاصرة في علم الاجتماع: أدوات التحليل السوسيولوجي وبنية المفاهيم والأسس الابستمولوجية

Contemporary Modernity in Sociology: Tools of Sociological Analysis, Conceptual Structure, and Epistemological Foundations

" **الحداثة المعاصرة ليست مرحلة زمنية بقدر ما هي نمط دائم من إعادة تشكيل الواقع، فهي مشروع لا يكتمل، يعيد إنتاج ذاته عبر النقد، وتخلق فيه المجتمعات أدواتها لفهم العالم بقدر ما تعيد هذه الأدوات تشكيلها** " (الكاتب).

– **الملخص:** يهدف هذا المقال إلى تقديم رؤية مركزة لمفهوم الحداثة ومرتكزاتها النظرية، وقد اعتمد على المنهج **التحليلي السوسيولوجي** في قراءة تحولاتها البنيوية وآليات اشتغالها. وتفهم الحداثة باعتبارها انتقالاً واسعاً من البنى التقليدية إلى أنماط اجتماعية تقوم على العقلنة، والتخصص المؤسسي، واتساع موقع الفرد داخل النسق الاجتماعي. ويظهر ذلك من خلال **أدوات تحليلية** تكشف ديناميات الحداثة، أبرزها دراسة العقلنة بوصفها آلية لتنظيم المؤسسات، وتحليل البنية الزمانية – المكانية التي توضح انسياب الحياة الاجتماعية خارج الحدود المحلية، إضافة إلى قراءة المجال العام وتحليل المخاطر باعتبارهما من مخرجات التطور الحداثي. وترتكز الحداثة **مفهومياً** على الفردانية، والتمايز الوظيفي، والترابط العالمي، بينما تنطلق **ابستمولوجياً** من تصور يجعل الواقع الاجتماعي مفتوحاً على التغيير وقابلاً لإعادة

التشـــكل عبر المعرفة والفعل. وبهذا تظهر الحداثة طابعاً مزدوجاً يجمع بين وعود التنظيم العقلاني والتقدم، وبين التوترات والمخاطر التي ترافق إعادة بناء العلاقة بين الفرد والمجتمع والبنية.

- **تهميد:**

الحـداثـة مفهوم اجتمـاعي وثقـافي يعكس مرحلـة من التطور في المجتمعـات الإنســـانية، تتســـم بتحول شـــامل في البنية الاجتماعية، وأنماط التفكير، والعلاقات المؤسساتية. يمكن اعتبار الحداثة إطاراً لفهم كيف تتشكل المجتمعات المعاصرة من خلال تنظيم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على أسس عقلانية ومنهجية، بعيداً عن الموروثات التقليدية والعادات المستمرة على مر العصور. وهي أيضاً عملية مستمرة للتغيير الاجتماعي والثقافي، حيث تتفاعل المؤسسات، الأفكار، والممارسات الفردية ضمن منظومة متشابكة من القوى الاجتماعية والاقتصادية. وتتمثل **السمات العامة للحداثة** في عدة محاور أســـاســـية، وهي كالآتي: **أولاً العقلانية والتنظيم المؤســـســـي:** يعتمد المجتمع الحداثي على أســس عقلانية في التخطيط والإدارة، بما يشمل القوانين، الإجراءات، والممارسات الرسمية التي تحكم المؤسسات الاقتصادية والســياســية والتعليمية. **ثانياً الفردانية المتزايدة:** تمنح الحداثة الأفراد قدرة أكبر على الاختيار الشـخصـي، مع الاحتفاظ بتأثير مؤسـسـات الدولة والمجتمع على سـلوكهم، مما يخلق توازناً بين الحرية الشـخصـية والضـبط المؤسـسـي. **ثالثاً التفاضـل الوظيفي والأنسـاق المتخصـصـة:** تتكون المجتمعات الحديثة من أنساق فرعية مستقلة نسبياً، مثل الاقتصـــاد، الســـياســـة، الإعلام، والتعليم، حيث لكل منها قواعده وممارســـاته

الخاصــــة. **رابعاً التواصـــل العام والمجال العام الديمقراطي:** يتيح المجال العام، وفق هابرماس، فضـــــاءً للتفاعل العقلاني بين المواطنين، ويســــهم في بناء الشـــــرعية الاجتماعية والديمقراطية. **خامســــاً الإنتاج والتحكم بالمخاطر:** بحســــب بيك، تنتج الحداثة مخاطر غير متوقعة بفعل التقدم الصـــــناعي والتكنولوجي، وهو ما يتطلب أدوات تحليلية لفهم أثرها على الأفراد والمجتمعات.

خلاصـــــة القول، تتميز الحداثة بأنها تولد بيئة يكون فيها الأفراد أكثر قدرة على الاختيار الشــخصــي واتخاذ القرارات المســتقلة، بينما تبقيهم في الوقت ذاته مرتبطين بالهياكل المؤســســية التي تحدد القواعد وتضــبط الســلوك، مما يجعل الحرية الفردية مشــروطة بإطار اجتماعي معقد. كما تتســم المجتمعات الحديثة بالتقســيم الوظيفي للأنســـاق الاجتماعية، حيث تتداخل الأنظمة الاقتصـــادية والســـياســـية والتعليمية والإعلامية، لكنها تحافظ على اســتقلالها النســقي، وهو ما يســمح بفهم العلاقات بين المؤسسات المختلفة ضمن منظومة متشابكة تؤمن استقرار النسق الكلي.

وفي ذات الســـياق، تولد الحداثة أيضـــاً مخاطر غير متوقعة، إذ تترافق التطورات التكنولوجية والصــناعية والاجتماعية مع آثار بيئية واجتماعية لا تخضــع دائماً للرقابة المؤســســية، وتؤثر على الأفراد والجماعات بشــكل غير متكافئ، مما يســتدعي تحليلاً دقيقاً للعلاقات الاجتماعية والسلطة داخل المجتمع لفهم توزيع المخاطر واستجاباتها. بهذه الطريقة، تظهر الحداثة كمفهوم شـــامل يجمع بين العقلانية، الحرية، التنظيم المؤســســي، والتحديات المســتمرة، لتشــكل إطاراً يفسـر التحولات المعقدة التي تشــهدها

المجتمعات الحديثة. **بناءً على ما سبق سنحاول فهم وتحليل جوهر نظرية الحداثة المعاصرة من خلال مناقشة العناصر التالية:**

- في مفهوم نظرية الحداثة المعاصرة:

تعتبر **نظرية الحداثة** أحد أكثر **المشاريع الفكرية تأثيراً في العلوم الاجتماعية** منذ القرن التاسع عشر، إذ انطلقت من محاولة فهم التحولات الجذرية التي أحدثتها الثورة الصناعية، وبروز الرأسمالية، وتكون الدولة الحديثة، وتفكك البنى التقليدية. وقد عمل مفكرون مثل **ماكس ڤيبر، وإميل دوركهايم،** ثم لاحقاً **يورغن هابرماس وأنتوني جيدنز وأولريش بيك،** على بلورة **تصور متعدد الأبعاد للحداثة** بوصفها مشروعاً تاريخياً يقوم على **العقلنة والتنظيم المؤسساتي وإعادة تشكيل أنماط العيش والممارسات اليومية على نحو يؤكد الانفصال عن عالم ما قبل الحداثة.**

وتقوم الحداثة في جوهرها على ثنائية التحول والاستمرارية، فبينما تسعى لإنتاج عالم أكثر عقلانية وكفاءة وتنظيماً، فإنها تولد أيضاً أشكالاً جديدة من المخاطر والقلق واللايقين، ما يجعلها مشروعاً مفتوحاً وقابلاً للجدل الدائم. **ولكن قبل الخوض في الحداثة المعاصرة سوف نستعرض إسهام ماكس ڤيبر في الحداثة التقليدية.**

- إسهام ماكس ڤيبر في نظرية الحداثة التقليدية:

تلعب **أفكار ماكس ڤيبر دوراً محورياً في بنية تحليل الحداثة،** لاسيما من خلال مفهوم العقلنة الذي أدخله كمحور أساسي لفهم كيف يتحول المجتمع الحديث إلى إطار من التنظيم الإداري والقانوني المنطوق بقواعد عقلانية. يرى ڤيبر أن الحداثة

تفصح عن ذاتها في هيمنة المؤسسات البيروقراطية، حيث تصبح السلطة الممارسة فيها قائمة على قواعد رسمية، خبرة مهنية، واستمرارية رسمية، وليس على التخصيص الشخصي أو الروابط العائلية.

في هذا السياق، تصف عملية العقلنة عند ڤيبر انتقالاً من نمط حياة تقليدي يعتمد على القيم والعادات إلى نمط حداثي يعتمد على الحساب العقلاني للوسائل والغايات، حيث ينظر إلى العمل والنشاط الاجتماعي بوصفهما يوجهان نحو أهداف محددة ضمن إطار تنظيمي محكم. هذا التوجه يؤدي، وفقا لڤيبر، إلى **تفكيك الأساطير والتفسيرات السحرية للعالم** ***disenchantment*** وتأكيد منطق العلم والقانون كمرجعيات أساسية للتحكم الاجتماعي.

كما حذر ڤيبر من جانب **مظلم للعقلنة**، فالبيروقراطية رغم فعاليتها التنظيمية، قد تؤدي إلى ما سماه " **قفص الحديد** ***iron cage*** " للعقل، حيث تصبح العلاقات الإنسانية متجردة، والفاعلون مقيدين بشبكة من قواعد رسمية تفقدهم الحرية الفردية والمعنى الشخصي في حياتهم. هذا الرؤية الڤيبرية للحداثة تكمل وتحفز تحليلات مفكري الحداثة المعاصرين مثل: **جيدنز وهابرماس وبيك**، لأنها تضع أسسا لفهم محدودية العقلانية التقنية والبيروقراطية كمنتج رئيسي للحداثة، لا مجرد وسيلة لها.

أولاً– أدوات التحليل السوسيولوجي في نظرية الحداثة المعاصرة:

تعتبر أدوات التحليل الســوســيولوجي في إطار نظرية الحداثة جوهرية لفهم كيفية تحول المجتمعات المعاصـرة وتفاعل المؤسـسات مع التغيرات التاريخية والاجتماعية. فهي توفر للباحث آليات لرصد الديناميات الاجتماعية المعقدة، وربط البنى المؤسسية بالتجارب اليومية للأفراد، كما تمكنه من تحليل التوترات الناتجة عن العقلنة، والتمايز الوظيفي، والمخاطر التي تفرضها الحداثة على حياة الإنسان.

في هذا الســياق، يســتخدم **أنتوني جيدنز أداة العقلنة** ***rationalization*** لفحص كيفية تنظيم المؤسـسـات الحديثة، مثل الدولة والاقتصـاد والمدرسـة، لحياة الأفراد وفق مبادئ الكفاءة، والضـــبط، والإجراءات المعيارية. فالعقلنة هنا لا تعني مجرد تطبيق قواعد إدارية، بل تشـــير إلى انتقال شـــامل من الأطر التقليدية والاعتماد على الخبرة الموروثة إلى أساليب تخطيطية ومنهجية تشكل سلوك الأفراد والجماعات في محيطهم الاجتماعي. كما يلجأ جيدنز إلى تحليل البنية الزمانية – المكانية، إذ يظهر كيف أن ممارسات الحداثة لا تبقى محصورة ضمن حدود محلية، بل تتجاوزها لتعمل في نظام عالمي مترابط، حيث تؤثر التفاعلات عبر الزمان والمكان في إعادة إنتاج الحداثة بشكل مستمر.

من نـاحيـة أخرى، يركز **يورغن هـابرمـاس** على **تحليـل المجـال العـام** ***public sphere*** كأداة مركزية لفهم تراكم الشرعية في المجتمعات الحديثة. فالمجال العام، من منظور هابرماس، هو فضـــاء اجتماعي تتشـــكل فيه النقاشـــات العقلانية بين المواطنين، ويشـــكل محوراً لتشـــكيل القرارات العامة وبناء المعايير الديمقراطية. ومن

خلال دراسـة هذا الفضـاء، يمكن فهم كيف تؤثر الحوارية العقلانية على التوازن بين مؤسسـات الدولة وسـلوك الأفراد، وكيف تسـهم في تقوية الشـرعية الجماعية وتعزيز المشاركة المدنية.

أما **أولريش بيك** فيقدم أداة تحليل المخاطر ***risk analysis*** التي تعنى بكشـف الآثار غير المقصـودة للتقدم التكنولوجي، والتوسـع الصـناعي، والتحولات البيئية والاجتماعية. يوضـح بيك أن الحداثة، رغم ما تقدمه من مكاسـب، تنتج في الوقت ذاته تهديدات لا تخضع بشكل كامل للرقابة المؤسسية، وتؤثر على الأفراد والجماعات بطريقة غير متكافئة، ما يسـتدعي دراسـة منهجية لكيفية اسـتجابة المجتمعات لهذه المخاطر، وفهم الآليات التي تعيد إنتاج الحداثة تحت ضغط هذه الأخطار.

تتسـم **أدوات التحليل** في نظرية الحداثة بالقدرة على الجمع بين البنى الكبرى والتحولات الدقيقة في سـلوك الأفراد والجماعات. فهي توفر رؤية متكاملة لفهم كيفية إنتاج الحداثة وإعادة إنتاجها، من خلال تحليل العقلنة، والمجال العام، والمخاطر. وتمكن الباحث من إدراك التوترات الكامنة بين التنظيم المؤسسـي والحرية الفردية، وبين المكاسـب الاجتماعية والمخاطر المترافقة، ما يجعل هذه الأدوات جوهرية لفهم التعقيد البنيوي والاجتماعي الذي يميز المجتمعات الحديثة.

ثانياً- مرتكزات المفاهيم في نظرية الحداثة المعاصرة:

تقوم نظرية الحداثة، في سـياقها السـوسـيولوجي، على **مجموعة من المرتكزات المفهومية التي تشـكل بنيتها العميقة وتوجه آليات تحليل الظواهر الاجتماعية في العالم المعاصـر**. وتظهر هذه المرتكزات بوصـفها محاور تفسـيرية تتقاطع فيها

التحولات البنيوية للمجتمعات الحديثة مع أنماط الفعل الاجتماعي، فتتيح إمكانية فهم التغيرات الكبرى التي طالت الحياة الاجتماعية والمؤسسات وأنماط الوعي. ولعل أبرز هذه المرتكزات ما طوره **أنتوني جيدنز ويورغن هابرماس وأولريش بيك**، كل من زاوية منهجية مختلفة، إلا أنها تتكامل في رسم الصورة المركبة للحداثة بوصفها مشروعاً تنظيمياً ومعرفياً في آن.

تبدأ هذه البنية المفهومية من **مفهوم العقلنة** كما يعالجه جيدنز، وهو مفهوم يتجاوز مجرد التحول من التقليدي إلى العصري، ليصف نمطاً شاملاً من إعادة تنظيم الحياة الاجتماعية وفق إجراءات وقواعد موضوعية تتسم بالتجريد والاتساق، بما يجعل الممارسات اليومية محكومة بمنطق التخطيط والإدارة والتقنين بدل العادات الوراثية. وهذا التحول، الذي يعد جوهر الحداثة، يترك أثراً مباشراً في بنية المؤسسات وفي تشكيل الوعي الاجتماعي، لأن العقلنة تمارس ضغطاً مستمراً نحو ترشيد الفعل وتبريره ضمن منظومات معيارية محددة.

وينتج عن **العقلنة** توسع في الفردانية، حيث تصبح الذات أكثر قدرة على اتخاذ خياراتها الخاصة، لكنها في الوقت ذاته تجد نفسها مندرجة ضمن شبكات معقّدة من التوقعات الاجتماعية والمؤسسات التنظيمية التي تضبط خياراتها وتعيد تشكيلها. فالفرد الحديث، من منظور جيدنز، أكثر استقلالاً من الماضي، لكنه أيضاً أكثر تبعية لبنى رمزية ومؤسسية تحيط بكل أفعاله، مما يجعل الحرية مشروطة دائماً بإكراهات النظام الاجتماعي الحديث.

وتتعمق هذه الصورة عبر مفهوم **الأنساق المتخصصة** الذي يعكس الدرجة العالية من التفاضل الوظيفي التي بلغتها المجتمعات الحديثة. فهذه المجتمعات لم تعد كتلة واحدة من التفاعلات المتداخلة، بل أصبحت تتكون من أنساق مستقلة نسبياً – كالاقتصاد والسياسة والتعليم والإعلام – يمتلك كل منها منطقه الخاص وطرائق اشتغاله المستقلة، الأمر الذي يجعل فهم الحداثة مرهوناً بمتابعة علاقات التشابك والاعتماد المتبادل بين هذه الأنساق. ويمثل هذا التفاضل أداة تفسير مركزية لفهم تعقيد العالم الحديث وتشظي السلطة والمعرفة داخله.

وعلى مستوى **المجال السياسي – التواصلي**، يضع هابرماس مفهوم المجال العام كإحدى الركائز الحاسمة للحداثة الديمقراطية. فهذا المجال، القائم على قدرة المواطنين على الانخراط في نقاش عقلاني حر، يعد شرطاً لبناء شرعية الدولة الحديثة ولتشكيل إرادة جماعية قائمة على التواصل وليس على الهيمنة. وتستمد الحداثة هنا معناها من قدرتها على خلق فضاء مفتوح للتداول العمومي، حيث تختبر الحجج والأفكار وتُخضع للمعايير العقلانية المشتركة التي تمنحها قيمتها الاجتماعية.

أما **أولريش بيك** فيعيد النظر في الحداثة من خلال مفهوم المخاطر، وهي ليست مجرد تهديدات محتملة، بل نتائج غير مقصودة للتقدم التكنولوجي والصناعي الذي بات يتجاوز قدرة الدول والمؤسسات على الضبط والمراقبة. وتكمن قوة هذا المفهوم في كشفه الطابع اللا متكافئ لآثار المخاطر، إذ تتوزع تبعاتها على الأفراد والجماعات بطريقة غير عادلة، مما يحول الحداثة من مشروع يَعِد بالرفاه إلى فضاء

تتداخل فيه الإنجازات مع احتمالات الخطر الواسعة التي تفرض أشكالاً جديدة من الوعي والحذر الاجتماعي.

ومن خلال هذه المرتكزات مجتمعة، تتشكل نظرية الحداثة بوصفها إطاراً تفسيرياً يقدم فهماً معمقاً للكيفية التي تتحول بها المجتمعات تحت تأثير العقلنة والتفاضل الوظيفي والفردانية وتوسع المجال العام وتصاعد المخاطر. إنها نظرية تفكك بنية العالم الحديث وتعيد تركيبها على أسس معرفية ومنهجية متماسكة، تكشف ما ينتجه هذا العالم من فرص وما يفرزه من توترات في آن واحد.

ثالثاً- الأسس الابستمولوجية لنظرية الحداثة المعاصرة:

تستند نظرية الحداثة إلى أساس ابستمولوجي يقوم على الإيمان بإمكان المعرفة العلمية في فهم الاجتماع البشري، دون الوقوع في الحتمية أو اختزال الإنسان إلى معطى تجريبي.

وتتبنى هذه النظرية موقفاً نقدياً تجاه العقلانية الأداتية، إذ ترى أن **العقل الحداثي** قادر على التحليل والتنظيم، لكنه قد ينقلب إلى قوة تسيطر على الإنسان وتحد من إمكاناته الأخلاقية والتواصلية، كما تشير أعمال هابرماس.

كما تنطلق ابستمولوجياً من فرضية الاستمرارية التاريخية، التي ترى أن تفسير الحاضر لا يتم إلا من خلال تحليل التطورات الطويلة المدى التي بدأت منذ تشكل الدولة الحديثة وبروز السوق الرأسمالية. وهي ابستمولوجيا شمولية، تعترف بتعدد مستويات التحليل: من **البنى الكبرى، إلى التفاعلات، إلى الخبرات الذاتية.**

وتتبنى كذلك رؤية تأملية تجعل الباحث جزءاً من عملية المعرفة، لأن الحداثة نفسها تغير شروط الفهم والتحليل، ولأن المجتمع الذي يدرسه السوسيولوجي هو ذاته المجتمع الذي يعيش فيه، ما يجعل المسافة النقدية ضرورة منهجية وأخلاقية.

– **خلاصة القول**، تظهر نظرية الحداثة، في صيغها التي طورها جيدنز وهابرماس وبيك، أن الحداثة ليست مجرد حالة تاريخية أو انتقال تقني– اجتماعي، بل مشروع معرفي– وجودي يتجاوز الحدود التقليدية لفهم التغيير الاجتماعي. غير أن هذا المشروع، رغم ثرائه التحليلي النظري، يثير عدداً من الإشكالات النقدية التي تفتح الباب أمام مراجعات أعمق لمفهوم الحداثة ذاته. فجيدنز، مثلاً، يقدم تصوراً للحداثة قائماً على التعقيد المؤسسي، والتحكم الإداري، والعقلنة الشاملة، لكنه يميل إلى النظر للحداثة بوصفها عملية مهيمنة يعاد إنتاجها من خلال الممارسات اليومية. هذا التصور يجعل الحداثة إطاراً تفسيرياً واسعاً، لكنه يترك مساحة ضيقة للنقد المرتبط بالبنى التسلطية أو بالقمع الرمزي الذي قد تتضمنه المؤسسات الحداثية، إذ تبدو البنى عنده قادرة على التكيف بصورة تمنحها قابلية دائمة لإعادة تشكيل ذاتها، حتى عندما تنتج تفاوتاً اجتماعياً أو اختلالاً في توزيع السلطة.

أما هابرماس، وعلى الرغم من نقده العميق للعقلانية الأداتية، فإنه يفترض وجود إمكانية لتأسيس عقلانية اتصالية قادرة على بناء شرعية اجتماعية جديدة. غير أن هذا الافتراض يتجاوز في كثير من الأحيان الواقع الاجتماعي المليء بعدم التكافؤ وشبكات الهيمنة، لأن المجال العام الذي يراه فضاءً مفتوحاً للحوار العقلاني غالباً ما يكون منحازاً لصالح الفئات الأكثر قدرة على الوصول إلى المعرفة والموارد واللغة

المتخصصـــصـــة. هذا يعني أن " **العقلانية التواصـــلية** " تحمل في جوهرها توتراً بين المثال المعياري والإمكان الواقعي، مما يجعل مشـــروعه أقرب إلى الطموح الفلســـفي منه إلى الوصف السوسيولوجي الدقيق.

أما بيك، فيقدم نقداً صريحاً لفكرة الحداثة التقدمية عبر مفهوم " **مجتمع المخاطر** "، وهو مفهوم يعيد الاعتبار إلى التناقضات البنيوية للحداثة، لكنه في الوقت نفسه يوسع المفهوم إلى درجة يصـــبح فيها كل شـــيء " **مخاطر** "، مما يهدد بتحويله إلى إطار شـــمولي غير يميز بين أنواع الأخطار ولا بين مســـتويات تأثيرها. كما أن بيك، رغم تركيزه على الأبعاد البيئية والتكنولوجية، لا يقدم تحليلاً كافياً للعلاقات الطبقية أو لصراعات السلطة التي تحدد من يتحكم بالمعرفة ومن يدفع ثمن الأخطار، مما يجعل نقده للحداثة ناقصاً في بنيته السياسية.

وعلى المستوى الابستمولوجي، تُظهر النظريات الثلاث حدوداً واضحة: فهي تتمسك بفرضـية أن الحداثة تملك قدرة تفسـيرية تسـمح بفهم العالم المعاصـر، لكنها تفترض ضمنياً وجود وحدة معرفية مشتركة داخل المجتمعات الحديثة. غير أن التعدد الثقافي، والاختلافات التاريخية، والفوارق الجندرية والطبقية، تشكل عوالم معرفية واجتماعية لا يمكن دمجها بسـهولة ضـمن خطاب حداثي واحد. وهذا **التوتر الابسـتمولوجي** يبرز بشـكل خاص عند محاولة تطبيق هذه النظريات في سـياقات غير غربية، حيث تبدو الحداثة أقل تجانسًا وأكثر تشظياً مما تصوره إطارهم.

ومن هنا تأتي أهمية النقد الموجه إلى النظريات الحداثية الثلاث: إنها نظريات قوية من حيث قدرتها على التقاط التحولات الكبرى، لكنها تفترض أحياناً اتســـاقاً بنيوياً أو

عقلانياً أو تكنولوجياً لا يعكس تماماً واقع المجتمعات المعاصـــرة في تنوعها، أو في الأزمات التي تتجاوز منطق الدولة القومية، أو في تعدد أنماط المعرفة التي تتحدى احتكار الحداثة الغربية للتفســير. ومع ذلك، فإن القيمة التحليلية لهذه النظريات تظل قائمة، لأنها تكشف عن دينامية الحداثة بوصفها مشروعاً غير مكتمل، مفتوحاً على إعادة التفاوض المستمر حول السلطة والمعرفة والشرعية.

إن **الخلاصـــة النقدية** الأســـاســـية تتمثل في أن الحداثة، كما يعرضـــها جيدنز وهابرماس وبيك، ليســت ســردية واحدة ولا مشــروعاً منســجماً، بل هي نســيج من التوترات: **بين العقلنة والحرية، بين التنظيم الذكي والمخاطر غير المتوقعة، بين المجال العام المثالي وواقع اللامســـاواة، وبين المعرفة العلمية والممارســـات الاجتماعية التي تتجاوزها.** وبذلك، فالحداثة ليست وصفاً للعالم بل إشكالية مستمرة، تتطلب قراءة نقدية متعددة المســتويات، تراعي تعقيد التجربة الإنســانية وتفاوتات القوة التي تحكم شروط إنتاجها.

- **المراجع المعتمدة:**

1. باتلر، كريستوفر. (2016). **الحداثة: مقدمة قصيرة جداً**. ط2. (ترجمة، شيماء طه الريدي؛ مراجعة، هاني فتحي سليمان). المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.
2. سبيلا، محمد؛ العالي، عبد السلام بنعبد. (2008). **الحداثة**. ط3. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.
3. المسيري، عبد الوهاب؛ التريكي، فتحي. (2003). **الحداثة وما بعد الحداثة**. ط1. دمشق: دار الفكر.
4. حجازي، حمد مجدي. (1998). **علم اجتماع الأزمة: تحليل نقدي للنظرية الاجتماعية في مرحلتي الحداثة وما بعد الحداثة**. ط1. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
5. خريسان، باسم علي. (2006). **ما بعد الحداثة – دراسة في المشروع الثقافي الغربي**. ط1. دمشق: دار الفكر.
6. التريكي، فتحي؛ التريكي، رشيدة. (1992). **فلسفة الحداثة**. ط1. بيروت: مركز الإنماء العربي.
7. هارفي، ديفيد. (2005). **حالة الحداثة ما بعد الحداثة – بحث في أصول التغيير الثقافي**. ط1. (ترجمة، محمد شيّا). بيروت: المنظمة العربية للترجمة والمعهد العالي العربي للترجمة.
8. بيك، أولريش. (2009). **مجتمع المخاطرة**. ط1. (ترجمة، جورج كتورة؛ إلهام الشعراني). بيروت: المكتبة الشرقية.
9. هابرماس، يورغن. (2020). **نظرية الفعل التواصلي: عقلانية الفعل والعقلنة الاجتماعية**. ط1. المجلد الأول. (ترجمة، فتحي المسكيني). الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
10. هابرماس، يورغن. (2020). **نظرية الفعل التواصلي: في نقد العقل الوظيفي**. ط1. المجلد الثاني. (ترجمة، فتحي المسكيني). الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
11. جيدنز، أنتوني. (2005). **علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)**. ط1. (ترجمة، فايز الصياغ). بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

12. أبـو السـعود، عطيـات. (2001). **الحصـاد الفلسـفي للقـرن العشـرين وبحـوث فلسـفية أخرى**. ط1. الإسكندرية: منشأة المعارف.

13. أبو النور، حسن. (2009). **يورجين هابرماس: الأخلاق والتواصل**. بيروت: دار التنوير.

14. خلف عبد الجواد، مصـــطفى. (2011). **نظرية علم الاجتماع المعاصـــر**. ط2. عمان: دار المسيرة.

15. كريب، إيان. (1999). **النظرية الاجتماعية من بارســـونز إلى هابرماس**. (ترجمة، محمد حسين غلوم؛ مراجعة، محمد عصفور). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد 244، أبريل.

16. ليلة، علي. (1991). **النظرية الاجتماعية المعاصـــرة دراســـة لعلاقة الإنســـان بالمجتمع (الأنساق الكلاسيكية)**. ط3. دار المعارف. القاهرة.

17. Beck, Ulrich. (1992). ***Risk society: Towards a new modernity***. London: Sage.

18. Giddens, Anthony. (1990). ***The consequences of modernity***. Stanford, CA: Stanford University Press.

19. Habermas, Jürgen. (1987). ***The philosophical discourse of modernity***. Cambridge, MA: MIT Press.

20. The Editors of Encyclopaedia Britannica. (n.d.). **Modernization – Secularization, Rationalization**. Encyclopaedia Britannica. Retrieved from https://www.britannica.com/topic/modernization/Secularization-and-rationalization

21. Fellwell, Frank. (n.d.). **Max Weber. Max Weber's HomePage**, Rogers State University. Retrieved from https://faculty.rsu.edu/users/f/felwell/www/Theorists/Whome.htm

22. Directorate of Distance and Online Education. (n.d.). **Formulation of Modern Rational Capitalism**. MA Sociology Study Material. Retrieved from https://www.distanceeducationju.in/studymaterial/MA%20Sociology%20401.pdf

----

*** د. حسام الدين فياض/ الأستاذ المساعد في النظرية الاجتماعية المعاصرة/ قسم علم الاجتماع/ كلية الآداب في جامعة ماردين (تركيا).**

باحث وأكاديمي في العلوم الثقافية واللغويات واللسانيات الاجتماعية. له عدد من المؤلفات السوسيولوجية؛ (سلسلة نحو علم اجتماع تنويري)، بالإضافة إلى العديد من الأبحاث العلمية والمقالات الفكرية التي تجمع بين النظرية السوسيولوجية والفكر الاجتماعي والثقافي النقدي المعاصر.